# البيعـة عقـيدة والتـزام

**أما بعد ، فإنى وليت أمركم ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن ، وسن النبى ﷺ ، وعلمنـا فعملنـا ، واعلمـوا أيهـا الناس أن أكيس الكَيِس التقى ، وأعجز العجز الفجور ، وأن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وأن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق ، أيها الناس ، إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أنا أحسنت فأعينونى ، وإن أنا زغت فقوموني ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .**

**( كتاب الأصول لأبى عبيد القاسم بن سلام ) .**

وقفنا فى حديثنا السابق عند بيعتى العقبة الأولى والثانية ، وقلنا إن بيعة العقبة الأولى كانت ارتباطاً بين محمد ﷺ ونفر من أهل المدينة على أساس العقيدة فحسب ، وخبرها كما حكاها ابن إسحاق رواية عن رجل ممن شهدوها وهو عبادة ابن الصامت : « بايعنا رسول الله ﷺ ليلة الأولى على ألا نشرك بالله شيئاً . ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم ( نقضتم ) من ذلك شيئاً فأخذتم بحده فى الدنيا ، فهى كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة ، فأمركم إلى الله عز وجل ، إن شاء عذب وإن شاء غفر .

فالبيعة الأولى كانت على التوحيد والخط الإسلامى الأخلاقى ولا زيادة ، ولا بأس بذلك ، فهذا ـ فى النهاية ـ هو لباب الإسلام ، ثم إنها بيعة فعلاً ، أى صفقة : أخذ وعطاء ، هم يلتزمون بمبادىء الإسلام ويأخذون فى سبيل ذلك

سعادة الدنيا بالسير على خط خلق رفيع ، ثم الجزاء الحق من الله سبحانه وتعالى ، وهو سعادة الآخرة لمن التزم بالميثاق .

ثم كانت العقبة الثانية بعد ذلك بعام ، وربما أقل ، وفيها يأخذ الميثاق صورة جديدة تؤيد صورة ميثاق العقبة الأولى من ناحية ، وتزيد عليها بعد ذلك ، فمحمد سيترك بلده وينتقل إلى بلد آخر بين قوم جدد معظمهم لا يعرفونه ، وإذن فلابد أن يكون فى الاتفاق مايضمن له الأمن والسلامة ، ويفتح أمامه الأبواب لنشر الإسلام ، وقد أتينا بنص الاتفاق فيما قلنا آنفاً ، ونضيف هنا خبراً يؤكد معنى تلك البيعة الثانية ، فهى ليست ميثاقاً على الالتزام بخط أخلاقى فحسب ، بل فيها اتفاق تستطيع أن تسميه سياسياً ، فقد قام أبو الهيثم بن التيهان وهو كان ثانى المتحدثين باسم القوم فى هذه المراحل الأولى ـ فقال : إن بيننا وبين « الرجال » حبالاً ، وإنا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم . وابن إسحاق ومن تابعه ـ ابن هشام والسهيلى شارح سيرة ابن هشام فى كتابه « الروض الأنف » بضم الهمزة والنون ومعناها الروض اليانع ، والزرقانى صاحب شرح المواهب اللونية للقسطلانى ( أى أنه شرح سيرة ابن هشام ) ـ هؤلاء جميعاً يقولون إن المراد « بالرجال » هنا اليهود ، أى يهود المدينة ، وهو تكلف لا معنى له ، لأن المراد ـ إذا أخذنا الكلام مأخذه السهل المنطقى : أننا يارسول الله سندخل معك الآن فى اتفاق شامل يلغى اتفاقاتنا مع غيرنا من الناس ، فهل نحن إذا فعلنا ذلك وانتصرت بنا هل تتركنا وتعود إلى قومك ؟ وهنا يؤكد الرسول التزامه من ناحيته بعبارة تقليدية كانت العرب تقولها فى مثل هذه الاتفاقات ، ومعناها : إن دمى بهذا الاتفاق دمكم ، لقد أصبحت منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ، وبيوتكم

هى بيوتى ، فإذا هدمتم خيامكم وارتحلتم إلى موضع آخر سرت معكم ( الهدم الهدم ) أى أن وطنكم أصبح وطنى ، فهو ارتباط دم وارتباط حرب وإسلام وارتباط وطن .

وبيعة العقبة الثانية على هذا ميثاق كامل : فيه العقيدة ، وفيه التزام من الطرفين إلى آخر المدى . كلا الطرفين يأخذ ويعطى ، وليس هناك عطاء من جانب واحد ، أو أخذ من جانب واحد ، فإن ذلك يجافى طبيعة تكوين أمة الإسلام .

هذا الكلام الذى نقوله ليس مجرد تحقيق علمى ، بل نحن ندخل هنا ـ منذ البداية ـ فى صميم التكوين السياسى لأمة الإسلام ، فهو تكوين يقوم على بيعة أو ميثاق أو تعاهد ، والبيعات والمواثيق والصفقات والعهود والمعاهدات كلها اتفاقات تقوم على التراضى وتبادل المنافع المتعادلة من الطرفين ، فإذا كان هناك إجحاف بواحد من الطرفين ، أو إذا كان هناك عطاء من جانب واحد أو أخذ من جانب واحد لم يصح إسلامياً أو عملياً ، وهنا نضع يدنا على السبب الرئيسى فى فشل دولة بنى أمية ، فقد قامت على أخذ من جانب واحد : معاوية وآله أخذوا طاعة الأمة وأموالها ولم يعطوا شيئاً ، فالبيعة بطبيعتها غير إسلامية ، وإذن فهى باطلة شرعاً أولا ثم عملياً بعد ذلك . وكذلك القول فى دولة بنى العباس ، فقد زعموا أنهم أخذوا الخلافة إرثاً عن رسول الله ﷺ ، ورسول الله لم يملك أمة الإسلام حتى يرثها عنه بنو العباس أو غيرهم ، فالبيعة باطلة أساساً : إسلامياً أولاً ، ثم عملياً بعد ذلك .

ونحن عندما نقول إن محمداً صلوات الله عليه لم يملك أمة الإسلام نعنى مانقول . فإن أمة الإسلام فى الحقيقة هى أمة الله سبحانه ، والميثاق فيها ليس بيننا وبين محمد ، بل بيننا وبين الله سبحانه ، والتزامنا فى هذا الاتفاق هو نفس التزام محمد فيه ، فنحن لسنا أتباعه إلا على المجاز ، لأنه هو الذى حمل إلينا

الرسالة أو على المحبة ، لأننا نحبه فتتابعه عن حب وثقة ، ولهذا فإننا نحن معاشر المسلمين لا نسمى أنفسنا قط بالمحمديين ، ونكره أن يقال عنا إننا Mohammedans كما يقولون عن أنفسهم إنهم Christians مثلاً أى اتباع خيستوس أى المسيح ومحقق البشارة ، إنما نحن نقول إسلامياً : إننا نحن ومحمد أمة الله وأتباع الحق ، ومحمد فى ذلك هو نبينا ورسول الله فينا وحامل هداه إلينا ومبلغ كلماته وإمامنا ، وهو الذى رسم لنا الطريق القويم فى العبادات وفى تطبيق الشريعة وفى مكارم الأخلاق ، ومرة أخرى نتلو الآيات الفاصلة من سورة الأحزاب وهى الثالثة والثلاثون من سور القرآن : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أرسَلنَاكَ شَاهداً وَمُبَشّراً وَنَذيراً وَدَاعياً إِلَى الله بإذنه وَسِرَاجاً مُّنيراً ، وَبَشّر المؤمنينَ بأنَّ لَهُم مّنَ الله فَضلاً كَبيراً** ﴾ . ( الآيات ٤٥ ـ ٤٧ ) ولنلاحظ أن هنا أيضاً نجد قاعدة الأخذ والعطاء ، فنحن المؤمنين نتبع النبى الشاهد المبشر النذير الداعى إلى الله بإذنه السراج المنير ، وفى مقابل هذا يبشرنا البشير بأن لنا من الله فضلاً كبيراً .

ونحب أن نشير هنا إلى عبارة « إن بيننا وبين الرجال حبالاً » فالحبال هنا جمع حبل ، ويراد فى مصطلح العرب فى ذلك الحين العقد والعهد والميثاق فكانوا ومازالوا فى جزيرة العرب يقولون : إن بيننا وبين أولئك القوم حبلاً أو حبالاً ، ويراد به الاتفاق أو الميثاق ، والذى أراده أبو الهيثم بن التيهان ، هو أننا بدخولنا فى الإسلام وبعقدنا الميثاق مع الله سبحانه وتعالى ومعك ، نقطع المواثيق والاتفاقات التى بين غيرنا من الرجال ـ من يهود أو غير يهود ـ ونحب أن نطمئن إلى أننا إذا فعلنا ذلك وتم لك النصر نتيجة لذلك . أنك لا تتركنا وتعود إلى قومك ، فأكد لهم الرسول التزامه بالعقد والميثاق بأجلى وأدق صورة : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ، وهنا أشير إلى الآية ١٠٣ من سورة آل عمران ، وهى الثالثة من سور

القرآن الكريم بعد الفاتحة والبقرة : ﴿ وَاعتَصِمُواْ بِحَبلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذكُرُواْ نِعمَةَ اللهِ عَلَيكُم إِذ كُنتُم أَعدَآءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخوَاناً وَكُنتُم عَلَى شَفَا حُفرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم آيَاتِهِ لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ ﴾ .

فهذه الآية توكيد للمعنى الذى نستخلصه من كلام أبى الهيثم بن التيهان ، ورد الرسول عليه ، فإن أبا الهيثم ومن معه ممن بايعوا الرسول قطعوا بذلك الحبال التى بينهم وبين غيرهم ، واعتصموا بحبل الله ، أى دخلوا فى عهد الله وميثاقه ، والله سبحانه يأمر المؤمنين بأن يعتصموا بحبل الله جميعاً ، ، أى يتحدوا فى ميثاق الإسلام ، ويذكرهم بأن تركهم الحبال التى كانت بينهم وبين الناس واعتصامهم بحبل الله نعمة كبرى من الله ، فقد ألف بين قلوبهم فى كنف أمة الإسلام ، وأصبحوا بنعمة الله إخواناً . وكانوا قبل ذلك ـ ورغم الحبال التى كانت تربطهم بالناس أى بالرجال كما قال أبو الهيثم ـ على شفا حفرة من النار فأنقذهم الله بعهده وميثاقه من التردى فيها . .

وهنا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام فكرة العهد والميثاق والأخذ والعطاء التى هى أساس الدخول فى دين الله وأمته ، فقد اعتصم المؤمنون بحبل الله وتركوا حبال الناس فتآلفت قلوبهم وأصبحوا إخواناً ، وتلك هى الرابطة الأساسية بين أفراد أمة الإسلام . . أنهم إخوان متآلفة قلوبهم بنعمة الله ، وهذا الاعتصام بحبل الله على أساس التآلف والأخوة هو سبيل النجاة الوحيدة أمام أمة الإسلام ، وبدون ذلك يكون المسلمون على شفا حفرة من النار .

اذكر هذه الآية واستعرض فى ذهنك تاريخ أمة الإسلام وماجرى عليها من المصائب ، تجد أن سببها أنهم لم يعتصموا بحبل الله جميعاً وتفرقوا ، فتردوا فى حفرة النار التى لم ينقذهم منها فى فجر الإسلام إلا اعتصامهم بحبل الله ، فالمعنى هنا سياسى وأخلاقى ودينى ، وقوة الإسلام ترجع إلى أن أخلاقياته من

حب وتآلف وأخوة وصدق هى أسس وقواعد سياسية كذلك ، فالخط الأخلاقى هو خط سياسى فى نفس الـوقت ، والسياسـة فى الإسـلام هى الأخـلاق ، ولا يمكن أن تفلح أمة الإسلام سياسياً إذا لم تكن صالحة أخلاقياً . .

وهنـا نلاحظ أن كل المفكـرين السياسيين المسلمين ـ وكلهم فقهاء ـ قد غابت عنهم هذه الحقيقـة ، فحسبـوا أن السياسـة شىء والإسـلام وعقيدتـه وشريعته شىء آخر ، فالسياسة عند ابن خلدون قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها ، كما كان ذلك للفرس وغيرهم ، ثم يفرق ابن خلدون بين السياسـة العقلية المفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها ، والسياسـة الشرعية وهى مفـروضـة من الله بشارع يقررها ويشرعها ، وكانت سياسة دينية نافعة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ومايسميه ابن خلدون سياسة دينية هو مايسميه ابن تيمية سياسة شرعية ، وهى عندهما معا « حمل الكافة على الأحكام الشرعية فى أحوال دنياهم وآخرتهم ، وكان هذا الحكم لأهل الشريعة . وهم الأنبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء » ثم يدور ابن خلدون دورة طويلة ثم يقول : « والخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبـارهـا ( مرتبـطة ) بمصالح الآخرة ، فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به « والدين عنده هو الأحكام الشرعية ، أى الأحكام التى يصدرها الفقهاء قضاة كانوا أو أهل مشاورة وفتوى . .

وماسكت عنه ابن خلدون ، ذكاء منه وحرصاً ، يصرح به تقى الدين أحمد ابن تيمية فى كتاب « السياسة الشرعية ، فى إصلاح الراعى والرعية » فهو يقول فى فاتحـة الكتـاب « أما بعد . . فهذه رسالة مختصرة فيها جوامع من السياسة الإلهية والآيات النبوية لا يستغنى عنها الراعى والرعية ، اقتضاها من أوجب الله نصحه من ولاة الأمور ، كما قال النبى ﷺ فيما ثبت عنه من غير وجه : « إن الله

يرضى لكم ثلاثة : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » ، وواضح أن هذا الحديث وكل الأحاديث التى تنص على وجوب طاعة الحكام فى كل مايأمرون به إلا مايتضمن معصية الله سبحانه ، ينبغى أن تؤخذ بحذر شديد ، لأنها ترمى إلى إخضاع الناس للحاكم مهما بلغ ظلمه ، مالم يكن كافراً أو آمراً بكفر أو معصية واضحة لأمر من أوامر الله تعالى ونواهيه ، وبديهى أنه لم يوجد قط حاكم يأمر الناس صراحة بمعصية الله . إنه هو يعصى الله ويقتل ويغتال خصومه وينهب أموال الرعية ، وهذا ظلم ، ولكنه ليس كفراً ، وهى معاص منه فى حق الله ، وحسابه على الله لا على الناس ، وكل مايتعين على الفقهاء وأهل الشرع هو النصيحة ، والنصيحة لا تضر الحاكم فى شىء مالم تتحول إلى مطلب ، وهذا هو الذى جعل كل كتابات المسلمين فى السياسة كتب مواعظ ونصائح للحكام بالعدل وأوامر للناس بالطاعة . وكتاب السياسة الشرعية لابن تيمية إنما هو كتاب فى إصلاح الرعية ، أما إصلاح الراعى فخارج عن ولاية الفقيه .

والوحيدون الذين حولوا النصيحة إلى مطلب ، والمطلب إلى أمر للحاكم ، واعتبروا عدم إطاعة الحاكم لأمر الرعية خروجاً عن الدين ، واعتبروا هذا الخروج كفراً هم تلك الطائفة المظلومة التى نسميها الخوارج ، والخوارج فى النهاية هم الذين تمسكوا بالخط الإسلامى القديم وأنكروا « الخلافة الملك » وقالوا إنها ليست إسلامية ، وإن الحكم بالقوة والغصب ردة بالإسلام إلى نظم الجاهلية . وتمسكوا بالشورى واحترموا قيمة الإنسان ، وقالوا : لا حكم إلا لله ، واختاروا واحداً من عامتهم وهو عبد الله بن وهب الراسى وبايعوه بالإمامة على الشورى والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وأرادوا إعادة الأمة كلها إلى الجادة كما فعل أبو بكر مع أهل الردة ، ولكن الخلفاء الملوك حاربوهم باسم الدين وسموهم الخوارج . . وهم فى الحقيقة الدواخل ، ووقفت الأمة كلها تتفرج حتى انكسرت

شوكتهم ولم تبق منهم إلا شراذم مفرقين فى أطراف البلاد : فى الغرب الأوسط وفى جبال عمان .

* * *

إذا نظرنا فى بيعة العقبة الأولى وجدنا أنها مجرد الدخول فى الإسلام ، والنطق بالشهادتين واجتناب المحرمات ، أى أنها كانت أخذاً بدون عطاء ، وقد أجاد الرسول ذلك لأن الأمة لم تكن قد قامت بعد .

أما بيعة العقبة الثانية فكانت الحجر الأول فى بناء الأمة ، أى أن الدخول فى تلك البيعة كان يستتبع الدخول فى الأمة ، والأمة كيان سياسى يعطى الداخلين فيه ميزات . والأمة لابد أن تكون فى نفس الوقت قوة أو وحدة سياسية لها قوتها العسكرية الذاتية ، إلى جانب قوتها المعنوية ، وهذا كله لابد أن يكون له مقابل ، والأخذ لابد أن يقترن بالعطاء ، هذا هو منطق الحياة وهو أيضاً منطق الحياة الصحيحة ، لأن الإسلام هو الحياة الصحيحة أو الحياة الصحية كما نقول ، ولهذا فقد كان لابد من التزامات أخرى غير مجرد النطق بالشهادتين . هذه الالتزامات هى التى عبر عنها البراء بن عازب بقوله « نعم والذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع أزرنا ، فبايعنا يارسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ( السلاح ) ورثناها كابراً عن كابر أى أن الدخول فى الإسلام أصبح فى نفس الوقت الدخول فى الأمة ، والأمة لابد أن تكون قوة والقوة هى المسلمون ، أى أن عضو الأمة لابد أن يكون مستعداً للذياد عنها بماله ودمه . .

فى مقابل ذلك التزم الرسول ـ وكان ملتزماً به دون حاجة إلى القول ـ بأن ينفصل تماماً عن قومه ، وأن يظل فى أمته ومعها ، وأن يكون من الأمة ، والأمة

منه ، ولكن أبا الهيثم بن التيهان ( بفتح التاء وتشديدها وكسر الياء وتشديدها ) أراد أن يسمع ذلك بأذنيه ، لكى يطمئن قلبه ، وطمأنه الرسول بأكثر مما طلب ، وبذلك يصح عقد البيعة من الطرفين ، وعلى هذا الأساس يكون الحجر الأول من أحجار إقامة بناء أمة الإسلام قد وضع وضعاً صحيحاً سليمًا . .

ولم تكد هذه الخطوة الأولى تتم حتى خطا الرسول ﷺ الخطوة الثانية ، لقد قامت الأمة بهذا الميثاق الأول ، نعم إن عدد أفرادها الذين بايعوا الرسول كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين ، ولكن هذا العدد هنا لا يهم ، لأن وراء كل واحد من هؤلاء رجالاً كثيرين ، ثم إننا سنرى أن كل واحد من هؤلاء سيتحول بمجرد دخوله فى الإسلام وأمته من رجل جاهلى مجهول إلى صانع من صناع التاريخ ، لأن الإسلام يصنع الذين يدخلون فيه عن إيمان وصدق صنعا جديدا . . والقضية هنا متبادلة : الإسلام يصنع رجاله ورجاله يصنعون أمته . . وأمته إذا بنيت بناء سليمًا . تصنع رجالها ، فهى أمة متجددة أو ينبغى أن تكون متجددة شريفة . . أن تكون سليمة التأسيس وأطرافها كلهم عارفين بمالهم وماعليهم ، أما أن يحسب الإنسان منا أن مجرد النطق بالشهادتين والقيام بعبادات الإسلام مستحقاً لكل ثواب المسلم العالم العامل المشارك فى بناء أمته وقوتها فكلام لا يستقيم .

وغريب من بعض الناس أن يتأملوا أحوال أمة الإسلام ثم يتساءلون : كيف تكون خير أمة أخرجت للناس وهذا حالها ؟ ولهؤلاء نقول : اقرأوا الآية كاملة أيها الناس ، وانظروا إلى ماقبلها ومابعدها ، ليصح فهمكم لها ، فإن الآية تقول ﴿ **كُنتم خَيرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بالمَعْروف وتَنْهَوْنَ عَن المُنكَر وتؤمِنُونَ بالله** ﴾ . ( آل عمران : الآية ١١٠ ) بهذا تكتمل الآية ويتم المعنى فهنا أخذ : وهو أن أمة الإسلام تكون خير أمة للناس ، وهنا عطاء : وهو أن يأمر المؤمنون بالمعروف وينهون عن المنكر فإذا لم يأمر المؤمنون بالمعروف أى

بالمتعارف عليه أى بما تعهدوا عليه ، وإذا لم ينفوا من جماعتهم ماينكره الخلق الإسلامى ، فلا يمكن أن تكون أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس .

واقرأ بقية الآية والتى بعدها ففى ذلك تمام المعنى وهو :

**﴿ وَلَوءَا مَنَ أهلُ الكتَاب لَكَانَ خَيراً لَّهُم ، مّنهُمُ المؤمنونَ وَاكَثَرُهُمُ الفَاسقُونَ ، لَن يَضُرُّوكُم إلَّا اذَىَ وَإن يُقَاتِلوكُم يُوَلُّوكُمُ الأدبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾** .

واسأل نفسك معى : ألسنا نحن أيضاً أهل الكتاب ؟ هذا حق ولكننا نسمى أنفسنا أهل الكتاب بأداة التعريف وهو القرآن ، ولو أننا آمنا كما ينبغى أن يكون الإيمان لكان خيراً لنا ، ومنا مؤمنون ولكننا تحولنا خلال عصور التدهور والركود ، فصار أكثرنا فاسقين ، ولذلك لا نبلغ مع أعدائنا إلا أذى ، وكنا إذا حاربنا ولّينا مدبرين .

إذن فإننا وصلنا إلى الحالة التى لا تعجبنا ولم نعد خير أمة أخرجت للناس ، لأننا لم نف بالميثاق ، لأننا لم نكن أهلاً لمسئولية العهد ، لأننا تصورنا الإسلام أخذاً بدون عطاء .

ونعود إلى النص كما يرويه ابن إسحاق برواية ابن هشام قال كعب بن مالك . وقد قال رسول الله ﷺ : « **اخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيباً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس** » . والنقيب كما فى لسان العرب هو عريف القوم والجمع نقباء والنقيب العريف وهو شاهد القوم وضمينهم . أى أن رسول الله طلب إليهم أن ينتخبوا من بينهم اثنى عشر مندوباً أو نائباً كما نقول لكى يتحدثوا باسم جماعتهم لكى يشاورهم الرسول فى الأمر . .

( هى الشورى إذن ) . . .

وفيم كان رسول الله ﷺ يحتاج لهؤلاء النقباء أو العرفاء أو النواب ؟ لقد وثق فيه القوم وبايعوه وأعطوه صفحة يمينهم بل قال البراء بن معرور : إنهم مستعدون لأن يقوموا بكل مايطلب منهم . .

وقد كان رسول الله ﷺ يستطيع أن يختار من يريد ليستشيره فيما يرى ، كما سيفعل حكام المسلمين فيما بعد ، فيكون المستشارون مرايا يرى الحاكم فيهم نفسه ، يشيرون عليه بما فى نفسه استبلاغاً فى الذلة والطاعة .

ولكن الرسول طلب إليهم أن يختاروا من بينهم من يمثلهم ويتحدث باسمهم ، لأن الإسلام كما قلنا يقوم على التراضى والاتفاق والتشاور فى كل مايتعلق بأمور المعاش ، وسنرى فيما سينقص من قيام أمة المدينة أن هؤلاء النقباء كانوا نواباً بالفعل عن قومهم وعن الإسلام كله ، حقاً لم يكونوا بأهل انقياد وتسليم ، بل أهل رأى ومشورة ، وقد كان لهم النصيب الأول فى شئون أمة المدينة وفى أكثر من موقف كان رأى رجال من أهل الشورى هو الذى قاد المسلمين إلى الطريق السليم .

وكان هذا يعجب محمداً ويسره ، لأنه كان يعلم أن الناس أعرف بأمور دنياهم ، وقد قالها مرة ، وكما أن الإسلام فى أساسه أخذ وعطاء فى العمل ، فهو أخذ وعطاء فى الرأى ، ولا يستقيم أمر أمة الإسلام إلا بأهل الشورى يختارهم الناس اختياراً حراً . كما حدث أيام الرسول ﷺ .

وإذن فالشورى بصورتها التى قدرها الرسول بها ونفذها أساس من أسس بناء أمة الإسلام ، وبدونها لا يكون تسيير أمور الجماعة حواراً وتبادل آراء ، بل يكون إملاء ، وهنا لا تسير أمة الإسلام فى طريقها الصحيح ، بل تنتكس وترتد كسروية أو قيصرية ، وتتوقف رسالة الإسلام فى أمة الإسلام ، ويكون الانتكاس الخطير الذى وصفناه فى مقالنا الأول . . ونحن نقرأ فى سورة آل عمران

﴿ فَبما رَحمَةٍ مّنَ الله لنتَ لَهُم ، وَلو كُنتَ فَظّاً غَليظَ القَلب لَا نفَضُّواْ من حَولك ، فَاعفُ عَنهُم وَاستَغفر لهُم وَشَاورهُم فى الأمر . فَإذَا عَزَمتَ فَتَوَكَّل عَلَى الله ، إنَّ الله يُحبُّ المتَوكّلَينَ ﴾ . ( الآية ١٥٩ ) .

ولفظ شاورهم هنا فعل أمر مثله فى ذلك مثل : أقم الصلاة ، فلماذا أهمل الفقهاء الوقوف عند ذلك الأمر الصريح ؟ لماذا لم يقننوه ويضعوا النظام لتطبيقه ؟ ولماذا طبق المسلمون الشورى أيام الرسول ؟

لأنه كان رحيم القلب لين الطبع يصفح ويعفو ويستغفر للناس ، ولماذا لم يطبق معاوية بن أبى سفيان ومن بعده الشورى ؟

لأنه كان فظاً غليظ القلب تهون عليه الدماء فى سبيل السلطان ، ولهذا خافه الفقهاء وأهل الرأى على أنفسهم . .

وماكان ينبغى أن يخافوا لأن الموت فى سبيل الحق أساس من أسس قوة أمة المدينة . .

ولكن هدا هو الذى حدث .

ونحن لا نقوم بهذه الدراسة لنصلح الماضى ، فإن الماضى لا يصلح ، ولكننا نقوم بها اليوم والغد ومابقى من عمر أمة الإسلام أكثر مما فات بكثير . .

وفى القرآن سورة كاملة أسماها الشورى ، وهى الثانية والأربعون من سور القرآن ، وفى الآية ٣٨ منها تقرأ فى خصائص المؤمنين أعضاء أمة الإسلام :

﴿ وَالَّذينَ استَجَابوا لربّهم وَاقَامُوا الصَّلاةَ وَامرُهُم شورَى بَينَهُم وَممَّا رَزَقنَاهُم يُنفقونَ ﴾ .

وإذن فرسول الله عندما طلب من وفد المدينة أن يختاروا من بين أنفسهم اثنى عشر نقيباً كان يقرر قاعدة أساسية من قواعد بناء أمة الإسلام . .